مجد أبو عامر | Majd Abuamer*

# أوكرانيا: التطورات العسكرية التقليدية وغير التقليدية والمقاتلون الأجانب **

# Ukraine: Conventional and Unconventional Military Developments and Foreign Fighters

* باحث ومقرر وحدة الدراسات الاستراتيجية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
Researcher and Rapporteur of the Strategic Studies Unit, the Arab Center for Research and Policy Studies.
Email: majd.abuamer@dohainstitute.org

** أعبّر عن تقديري للزملاء طلبة برنامج الدراسات الأمنية النقدية في معهد الدوحة للدراسات العليا؛ روكسانا عبد الله وعلاء النجار وعثمان الزنداني، لمساعدتهم الكريمة في إعداد هذا التقرير.

عقدت وحدة الدراسات الاستراتيجية في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، يوم الإثنين 29 آب/ أغسطس 2022، ندوة أكاديمية بعنوان "أوكرانيا: التطورات العسكرية التقليدية وغير التقليدية والمقاتلون الأجانب"[1]، شارك فيها ثلاثة من الباحثين المتخصصين في الدراسات الأمنية والاستراتيجية؛ هم عمر عاشور، مدير وحدة الدراسات الاستراتيجية ورئيس برنامج الدراسات الأمنية النقدية في معهد الدوحة للدراسات العليا، وكاسبر إدوارد ريكافيك Kacper Edward Rekawe، باحث ما بعد الدكتوراه في مركز أبحاث التطرف بجامعة أوسلو، وهاميش دي برتون-غوردون Hamish de Bretton-Gordon، زميل باحث في كلية المجدلية بجامعة كامبريدج والقائد السابق لفوج مكافحة الهجمات النووية والكيماوية والبيولوجية والإشعاعية في الجيش البريطاني. وترأسها سيد أحمد قوجيلي، أستاذ الدراسات الأمنية النقدية في معهد الدوحة.

وجاءت الندوة في سياق اهتمام المركز العربي بمتابعة القضايا السياسية والاستراتيجية والأمنية الراهنة في المنطقة العربية والعالم وتحليلها، وتقديم قراءات معمقة بشأنها، وإنجاز دراسات وأبحاث معمقة حولها من منظور نقدي، والتي كانت الأزمة الأوكرانية على رأسها خلال عام 2022، بعد أن شنّت روسيا هجومًا عسكريًّا شاملًا ضد أوكرانيا في 24 شباط/ فبراير 2022. إذ عقد المركز عددًا من الندوات والمحاضرات حول الموضوع، منها: ندوة "الأزمة الأوكرانية: أسبابها وتداعياتها الإقليمية والدولية" في 22 شباط/ فبراير 2022، ومحاضرة "الصراع الروسي-الأوكراني: الحرب الهجينة وتداعياتها على الأمن الدولي" في 27 شباط/ فبراير 2022، وندوة "استهداف المدنيين العشوائي كأحد أساليب الحرب في سورية وأوكرانيا" في 15 حزيران/ يونيو 2022، وخصص أعمال الدورة التاسعة لمنتدى دراسات الخليج والجزيرة العربية، لبحث موضوع "انعكاسات أزمة أوكرانيا والتنافس الإقليمي والـدولي على مستقبل الأمن والطاقة في منطقة الخليج" يومَي 22 و23 تشرين الأول/ أكتوبر 2022[2]، وسيقدَّم في المؤتمر الرابع لوحدة الدراسات الاستراتيجية "حالة حقل الدراسات الأمنية والاستراتيجية" (18-20 شباط/ فبراير 2023) عددٌ من الأوراق حول الحرب الروسية على أوكرانيا، تحلل كتائب المتطوعين المحلية وآثارها الميدانية، والعلاقات المدنية - العسكرية الأوكرانية وآثارها في مجريات الحرب، والبعد النووي وآثاره في الأمن الدولي.

كما نشر المركز عددًا من الدراسات وأوراق تقدير موقف وتقييم حالة، منذ بدء روسيا في كانون الأول/ ديسمبر 2021، في تحشيد الآلاف من جنودها على حدودها الغربية مع أوكرانيا، تقديرًا لاحتمالات المواجهة العسكرية، ومنها دراسة للدكتور عزمي بشارة، يرصد فيها التوتّر بين روسيا وأوكرانيا وحلف الناتو، من خلال تحليل الرؤية الروسية الرامية إلى التحوّل من دولة مهدَّدة إلى قوة عظمى، منذ وصول فلاديمير بوتين إلى سدة الحكم في 31 كانون الأول/ ديسمبر 1999، إضافةً إلى عددٍ من الأوراق التي تدرس السياسات الأميركية تجاه أوكرانيا، والموقف التركي تجاه أزمة أوكرانيا، وتقيّم استجابة الأمم المتحدة للغزو الروسي لأوكرانيا واستجابة الاتحاد الأوروبي لأزمة الطاقة الناجمة عن الحرب، وتبحث تداعيات الغزو الروسي لأوكرانيا على الشرق الأوسط وعلى الأزمة السورية، وترصد مواقف الحكومات ووسائل الإعلام والرأي العام العربي من الأزمة الأوكرانية، وتحلل سبب رفض إرتيريا إدانة الغزو الروسي[3]. كما صدر ضمن سلسلة "ترجمان" ترجمة أحد الكتب الأساسية لفهم

1 لمشاهدة التسجيل الكامل للندوة، ينظر: "ندوة - أوكرانيا: التطورات العسكرية التقليدية وغير التقليدية والمقاتلون الأجانب"، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، يوتيوب، 2022/8/29، شوهد في 2022/8/29، في: https://bit.ly/3hTMMH8

2 ينظر: "ندوة أكاديمية للمركز العربي تناقش أسباب الأزمة الأوكرانية وتداعياتها الإقليمية والدولية"، **فعاليات**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022/2/22، شوهد في 2022/8/25، في: https://bit.ly/3ve0Qya؛ "محاضرة الصراع الروسي-الأوكراني: الحرب الهجينة وتداعياتها على الأمن الدولي"، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، يوتيوب، 2022/2/27، شوهد في 2022/8/25، في: https://bit.ly/3juoa8n؛ "استهداف المدنيين العشوائي كأحد أساليب الحرب في سورية وأوكرانيا"، مركز دراسات النزاع والعمل الإنساني، 2022/6/15، شوهد في 2022/8/25، في: https://bit.ly/3ve3vIj؛

3 "الأزمة الأوكرانية: احتمالات المواجهة والحل"، **تقدير موقف**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021/12/16، شوهد في 2022/8/25، في: https://bit.ly/3vcMxKp؛ عزمي بشارة، "روسيا وأوكرانيا وحلف الناتو: تأملات في الإصرار العجيب على عدم تجنّب المسار المؤدي إلى الحرب"، **دراسات**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022/2/27، شوهد في 2022/8/25، في: https://bit.ly/3veGIfc؛ "حسابات واشنطن في أوكرانيا ومحاولات احتواء روسيا"، **تقدير موقف**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022/3/3، شوهد في 2022/8/25، في: https://bit.ly/3C3x3w6؛ "الاستراتيجية الأميركية في أوكرانيا وتداعياتها المحتملة على العلاقة مع روسيا"، **تقدير موقف**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022/5/17، شوهد في 2022/8/25، في: https://bit.ly/3GeWqNP؛ باسل الحاج سالم، "هل تستطيع تركيا موازنة العلاقات بين روسيا والغرب في أزمة أوكرانيا؟"، **تقييم حالة**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022/2/7، شوهد في 2022/8/25، في: https://bit.ly/3GjJ4zU؛ عماد قدورة، "تركيا وإشكالية الحياد في حرب أوكرانيا"، **دراسات**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022/6/12، شوهد في 2022/8/25، في: https://bit.ly/3hRBfIk؛ عائشة البصري، "استجابة الأمم المتحدة للغزو الروسي لأوكرانيا: فشل دبلوماسي وإنجازات إنسانية"، **تقييم حالة**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022/8/25، شوهد في 2022/8/25، في: https://bit.ly/3WKNJQI؛ أحمد قاسم حسين، "استجابة الاتحاد الأوروبي لأزمة الطاقة الناجمة عن الحرب الأوكرانية"، **تحليل سياسات**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022/6/16، شوهد في 2022/8/25، في: https://bit.ly/3YSbHvw؛ جو معكرون، "تداعيات الغزو الروسي لأوكرانيا على الشرق الأوسط"، **تقييم حالة**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022/3/9، شوهد في 2022/8/25، في: https://bit.ly/3hNa6q7؛ مالك ياسين، "كيف تؤثر حرب أوكرانيا في الأزمة السورية؟"، **تقييم حالة**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022/6/2، شوهد في 2022/8/25، في: https://bit.ly/3I6LrYl؛ "أزمة أوكرانيا: كيف ينظر إليها العرب، ولماذا تباينت مواقفهم منها؟"، **تقارير**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022/3/17، شوهد في 2022/8/25، في: https://bit.ly/3Wq0gJx؛ عبد القادر محمد علي، "خلفيات رفض إرتيريا إدانة الغزو الروسي لأوكرانيا"، **تقييم حالة**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022/3/30، شوهد في 2022/8/25، في: https://bit.ly/3FS7dMI

الأزمة الأوكرانية الحالية[4]، وهو يبحث العلاقات الروسية - الأوكرانية على مدى الثلاثين عامًا الماضية، ويقدّم تفسيرًا شاملًا للعلاقة المتوترة بين البلدين.

## أولًا: التكيفات العسكرية التقليدية والهجينة (2014–2022)

في المداخلة الأولى لندوة "أوكرانيا: التطورات العسكرية التقليدية وغير التقليدية والمقاتلون الأجانب"، ركّز عمر عاشور على خلفيات الغزو الروسي لأوكرانيا، مشيرًا إلى أن الحرب قائمة منذ ثماني سنوات وما يحدث منذ شباط/ فبراير 2022 تصعيد مكثف ومفاجئ للعملية العسكرية الروسية التي بدأت في شبه جزيرة القرم (شباط/ فبراير 2014)، والتي فاجأت الجانب الأوكراني. وإذا ما نظرنا إلى القدرات العسكرية الأوكرانية في الفترة 1991-2014، نجدُ فرقًا هائلًا. ففي عام 1991، كانت أوكرانيا تملك 800 ألف جندي (على الورق على الأقل)، و2500 رأس نووي تخلت عنها في إطار اتفاقيات ماساندرا Massandra Accords (3 أيلول/ سبتمبر 1993) ومن ثم مذكرة بودابست Budapest Memorandum للضمانات الأمنية (5 كانون الأول/ ديسمبر 1994)، في مقابل ضمانات أمنية من روسيا والولايات المتحدة الأميركية والمملكة المتحدة باحترام سيادة أوكرانيا. أمّا في عام 2014، فكان قوام القوات الأوكرانية يقدَّر بحوالى 130 ألف جندي (على الورق)، لم يكن منهم في حالة جاهزية للقتال سوى ثلاثة ألوية تقريبًا؛ اللواء رقم 25 (المحمول جوًا)، ولواء الهجوم الجوي رقم 95 (الذي سيتصدر المشهد في صيف 2014)، ولواء المشاة الميكانيكي رقم 93.

### 1. الخبرة الأوكرانية في الحرب مع روسيا: عودة إلى أزمة القرم (2014)

بالعودة إلى العملية العسكرية الروسية في شبه جزيرة القرم عام 2014، يشير عاشور إلى أنها كانت مفاجئة للجانب الأوكراني أيضًا، بل إن قيادة الأسطول الأوكراني هناك كانت تستبعد وقوع مثل هذا السيناريو، كما يشير كنت ديبنديكتس[5]. ويعدّها الباحث عملية عسكرية هجينة معقدة، إذ انطوت على استخدام الدعاية السوداء Propaganda والاختراقات والعمل الاستخباري والتنسيق مع أحزاب وحركات محلية تتصدر المشهد، إضافةً إلى حضور البعد غير النظامي (الميليشياتي) بمشاركة عناصر من كتيبة الشرق الموالية لزعيم الحرب الشيشاني الراحل سليم ياماداييف Sulim Yamadayev (1973-2009). وانتقد عاشور سحب توصيف "عقيدة غيراسيموف"[6] على استراتيجية الحرب الهجينة الروسية، إذ إنها ليست عقيدةً بالمعنى الاستراتيجي، حتى إن مارك غاليوتي Mark Galeotti تراجع عن هذا الوصف بعد أن كان أول من استخدمه. وبدلًا من ذلك، يصف عاشور هذه العمليات بـ "عضلات ماسكيروفكا" (نسبةً إلى عقيدة الخداع العسكري الروسي المعروفة باسم ماسكيروفكا بحسب الموسوعة العسكرية السوفياتية 1944)[7]، فبعد سلسلة الاختراقات والعمليات السرية، أُمِّنَ الانتصار عن طريق أكبر إنزال جوي يشهده شرق أوروبا منذ الحرب العالمية الثانية، وبمشاركة ما بين 20 و30 ألف جندي على الأرض من القوات الروسية التابعين لأسطول البحر الأسود في مدينة سيفاستوبول وبعض الوحدات الأخرى. ولم يتجاوز دور لواء مشاة البحرية رقم 801 حدود تأمين الانتصار، الذي كان قد تحقق بالفعل، من خلال عمليات استخباراتية ودعاية تضليلية واختراقات وتحركات على الأرض.

ومن خلال المقارنة بين التحرّك الروسي في جمهورية القرم (شباط/ فبراير – آذار/ مارس 2014) والتحرك الانفصالي المدعوم روسيًا في مدينة ومقاطعة خاركيف (شباط/ فبراير – نيسان/ أبريل 2014)، مع الإشارة إلى أن المنطقتين تتحدثان الروسية، يرى عاشور أنّ ما جرى في القرم انتصار حاسم للطرف الروسي، أما ما حدث في خاركيف فهو هزيمة منكرة له، إذ توقّع السكان هناك ما يمكن أن يحدث ونزلوا إلى الشوارع احتجاجًا، ومن ثم، لم يصمد إعلان جمهورية خاركيف الشعبية يوم 7 نيسان/ أبريل 2014 مدة 24 ساعة إثر التحرّك الشعبي السريع. أما التحرّك الآخر عام 2014، فكان في الدونباس التي لم تسقط حينها ولا في الحرب الحالية المستمرة فيها منذ نيسان/ أبريل 2022، والمقاطعة الوحيدة التي سيطرت عليها القوات الروسية كاملةً منذ آذار/ مارس 2014 (بعد جمهورية القرم) هي لوهانسك، التي سقطت بعد ستة أشهر من القتال عام 2022، قبل أن تعود إليها القوات المسلحة الأوكرانية مجددًا في أيلول/ سبتمبر 2022، أما باقي المقاطعات؛ بما فيها خيرسون وزاباروجيا ودونيتسك، فلم تسقط على نحو كامل تحت السيطرة الروسية.

4 بول دانييري، **أوكرانيا وروسيا: من طلاق متحضر إلى حرب همجية**، ترجمة يزن الحاج (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022).

5 ينظر:

Kent DeBenedictis, *Russian "Hybrid Warfare" and the Annexation of Crimea: The Modern Application of Soviet Political Warfare* (London: I.B. Tauris, 2021).

6 نسبةً إلى رئيس هيئة الأركان العامة للقوات المسلحة الروسية فاليري غيراسيموف Valery Gerasimov (2012-).

7 ينظر:

David M. Glantz, *Soviet Military Deception in the Second World War* (London: Routledge, 1989).

ويلفت عاشور الانتباه إلى أعمال المقاومة الأوكرانية عام 2014، التي سرعان ما اندلعت بعد سقوط شبه جزيرة القرم لتحرير مدن الشرق الأوكراني وبلداته، في إطار ما سُمي حينها بـ "الخطة ب"؛ أي تجاهل نصائح الحلفاء (المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل وإدارة الرئيس الأميركي باراك أوباما على وجه التحديد) الذين طالبوا الأوكرانيين بعدم المقاومة على أن تُستعاد شبه جزيرة القرم بالمفاوضات وسلاح العقوبات الاقتصادية. ومن نماذج العمل العسكري التقليدي وقتها، نقل حوالى أحد عشر لواءً من الغرب إلى شرق نهر دنيبرو، وتنفيذ غارة اللواء 95 (19 تموز/ يوليو – 10 آب/ أغسطس 2014) بقيادة ميخايلو زابرودسكي Mykhailo Zabrodskyi الذي بات إثرها بطلًا قوميًا في أوكرانيا. أما المقاومة العشوائية واللامركزية، فتمثلت على نحو رئيس في فتح الرئيس بالوكالة ألكساندر تورتشينوف Oleksandr Turchynov، باب التطوّع للقتال وتسليح المتطوعين.

## 2. الحرب الهجينة وتطبيقاتها: الغزو الروسي لأوكرانيا (2022)

بالانتقال إلى تقييم التطورات العسكرية التقليدية والهجينة في الحرب الحالية، يقسم عاشور الحرب إلى ثلاث مراحل. وفي ذلك، يرى أن الحرب في مرحلتها الأولى (شباط/ فبراير – آذار/ مارس 2022)، كانت حرب مناورات متعددة المجالات Multi-Domain Maneuver Warfare، شملت عمليات برية وبحرية وجوية واستخبارية/ معلوماتية وسيبرانية وإلكترونية، إضافةً إلى المقاتلين الأجانب ومقاتلي فاغنر Wagner الذين أدّوا دورًا كبيرًا. إلا أن هذه العمليات الروسية واجهت فشلًا في تحقيق أهدافها الاستراتيجية. ففي حين كان التوغل العسكري الروسي في جنوب - الغرب تجاه مدينة أوديسا عميقًا وكذلك في جنوب - الشرق تجاه ماريوبل، فإنه لم يتمكن من دخول العاصمة كييف، ومُني بهزيمة في الشمال والشمال الشرقي، إذ تحررت أربع مقاطعات، هي جيتومير وكييف وتشرنيهيف وسومي، إضافةً إلى أجزاء من خاركيف. أما في الشرق، فكان التقدم العسكري الروسي عنيفًا وعميقًا، وكذلك في جنوب الدونباس؛ تجاه ماريوبل التي وصلوا إليها. وفشلت القوات الروسية في غزو أوديسا، إذ صُدَّ الهجوم البري في مقاطعة ميكولايف.

وفي المرحلة الثانية (نيسان/ أبريل – تموز/ يوليو 2022)، تحولت الحرب إلى حرب استنزاف متخندقة تعتمد على المدفعية أكثر من المناورات، وبتركيز على الشرق والجنوب، وعلى محاولات التقدم المتدرج والحذر بالسيطرة على أجزاء صغيرة بدلًا من الزحف نحو كييف. وبذلك سيطرت القوات الروسية على مقاطعة لوهانسك في تموز/ يوليو (وهي أول مقاطعة تسقط كلّها منذ آذار/ مارس 2014)، وأكثر من نصف مقاطعة دونيتسك.

أما المرحلة الثالثة (منذ تموز/ يوليو 2022)، فشهدت فيها جبهة الدونباس تغييرات قليلة وليست حاسمة؛ فقد تقدّم الجانبان من 5 إلى 10 كيلومترات ووقعت هجمات وهجمات مضادة متبادلة، أما الجبهة الجنوبية فآخذة في التغيّر، إذ يبدو أن القوات الأوكرانية تتحرك للقيام بهجوم مضاد في مقاطعة خيرسون، مع ملاحظة ارتفاع العمليات الأوكرانية داخل المناطق المحتلة، خاصةً مدينة ميليتوبول وعموم مقاطعة زابوريجيا ووصولًا إلى القرم، وذلك مع زيادة حجم الدعم الغربي. ويلاحظ عاشور استمرار نمطَي الحرب التقليدية وغير التقليدية في هذه المرحلة، إذ نشهد تراشقًا ومبارزات مدفعية في الدونباس تحديدًا، خمسة آلاف قذيفة يوميًا من الجانب الأوكراني، مقابل عشرين ألف قذيفة بحسب التقديرات الغربية (خمسين ألف قذيفة بحسب الحكومة الأوكرانية) من الجانب الروسي؛ أي بمعدل 1 إلى 10 أو 1 إلى 4 قذائف متبادلة. ومن جانب آخر، لا تزال حرب المناورات مستمرة، فالاختراق لا يزال قائمًا في سيفيرودونيتسك وليسيتشانسك. كما استطاع الحرس الوطني الروسي تثبيت القوات الأوكرانية في جبهة ليسيتشانسك، لتتمكن قوات النخبة المحمولة جوًا الروسية VDV من إحداث اختراق في بلدة توشكيفكا. وقد نجحت هذه المناورة بمساعدة عناصر "شركة" فاغنر التي تملك قوة عددية تعادل فرقة عسكرية نظامية على أقل تقدير (وخمس فرق على أقصى تقدير)، وتعدُّ "شركة" غير مسجلة ولا يمكن ملاحقتها قانونيًا، وتملك إمكانية الوصول إلى السجون الرسمية، وتمنح المدانين بجرائم والقادرين على حمل السلاح عفوًا وتجنّدهم في صفوفها وتدرّبهم في معسكرات تتبع وزارة الدفاع الروسية، وهو ما يعكس تداخل النمط التقليدي مع غير التقليدي.

وتطرّق عاشور أخيرًا، إلى تحليل كيفية قتال الدول الصغيرة والطرف الأضعف من خلال الحالة الأوكرانية، مشيرًا إلى أنّ أوكرانيا هي الطرف الأصغر هنا لأن مواردها أقل مقارنةً بروسيا، حتى في ظل الدعم الغربي الحالي، وروسيا بوصفها الطرف الأكبر تتكبد خسائر أكبر من حيث الكمّ. على سبيل المثال، حاولت كتيبتان روسيتان عبور نهر الدونيتس في أيار/ مايو 2022، لتُباد واحدة منهما كلّها، متكبدةً خسائر تقدّر بحوالى 500-1000 جندي. ورغم ذلك، وبسبب ضخامة الموارد الروسية، تمكنت روسيا من السيطرة على لوهانسك. ففي الحالة الروسية، غالبًا ما تكون نسب الخسائر المتبادلة في غير صالحها؛ إذ في الحرب الشيشانية الأولى (كانون الأول/ ديسمبر 1994 – آب/ أغسطس 1996)، كانت نسبة الخسائر العسكرية المتبادلة خمسة قتلى روس مقابل قتيل شيشاني، لتنحسر النسبة في الحرب الشيشانية الثانية (آب/ أغسطس 1999 – حزيران/ يونيو 2000) إلى قتيلَين روسيَين مقابل قتيل شيشاني، وتنخفض أكثر في حرب أوسيتيا الجنوبية بين روسيا وجورجيا (8-16 آب/ أغسطس 2008) إلى

1.2 قتيل روسي مقابل قتيل جورجي؛ ما يشير إلى أنّ لروسيا الاتحادية ومن قبلها الاتحاد السوفياتي قدرة عالية على تحمّل خسائر الجنود للوصول إلى الهدف العملياتي أو الاستراتيجي (وأحيانًا يشار إلى هذا النهج بطريقة الحرب الروسية/ السوفياتية).

## ثانيًا: المقاتلون الأجانب والمتطوعون في الحرب الروسية – الأوكرانية

في المداخلة الثانية، ركّز كاسبر إدوارد ريكافيك على ظاهرة المقاتلين الأجانب الذين شوهدوا على خطوط المواجهة في الحرب الروسية - الأوكرانية منذ عام 2014، ولدى الجانبين[8]. إذ يملك الطرفان سجلًّا طويلًا في استخدام وسائل غير تقليدية وغير نظامية في الحرب، وذلك محاولةً للتغلب على المصاعب اللوجيستية المتمثلة في المساحات الشاسعة والمناطق الوعرة وكثرة المدن وتنوّع السكان، إضافةً إلى عامل الطقس. وتُعدُّ الاستعانة بمصادر خارجية لمواجهة القتال إحدى هذه الوسائل. وأشار الباحث إلى أن الظاهرة ليست جديدة على المنطقة، إذ تعود إلى القرن التاسع عشر، حيث كانت هناك وحدات تعتمد على مقاتلين أجانب في حرب الميليشيات، توظّف على نحوٍ رئيس لإمكانية نفي الوقوف وراء الهجمات أو الارتباط بها. على سبيل المثال، وظّف الكومونولث الليتواني - البولوني القوزاك للاعتداء على الدولة العثمانية، في المقابل كانت الأخيرة تستخدم تتار القرم والقوقاز للردّ عليهما منكرةً وجود أيّ صلة لها بهما. وفي عام 2014، تعاملت روسيا بالمثل، عندما صرّحت موسكو بأنها لم تجتح شبه جزيرة القرم، كونها استخدمت مقاتلين متطوعين وأجانب.

وفي إطار تتبع نشوء ظاهرة المقاتلين المتطوعين، سرد ريكافيك كيفية شَنّ روسيا في عام 2014 حربًا هجينة تجمع بين الوسائل التقليدية وغير التقليدية للحرب، لكنها أظهرتها على أنها حرب أهلية أو انفصالية، من خلال حشد مصادر الحرب على الأراضي الأوكرانية؛ من بناء وحدات للسكان المحليين المتطوعين، وتمويل هذه الوحدات، لتخوض الحرب في الميدان نيابةً عنها. وفي تلك الحرب كما في الحرب الحالية، تنكر روسيا علاقتها بما يسمى "الانفصاليين" في شرق أوكرانيا الذين ينتمون إلى القومية الروسية أو جاؤوا من روسيا. ومن ثمّ، فتحت الحرب الروسية – الأوكرانية، بتبنّيها نمط الاستعانة بمصادر خارجية، الباب أمام ظهور المقاتلين الأجانب على الضفتين، إذ جمعت بين الحرب غير التقليدية وبناء قاعدة المتطوعين من أسفل إلى أعلى.

وأشار الباحث إلى اختلاف طريقة توظيف المقاتلين المتطوعين بين روسيا وأوكرانيا، سواء عام 2014 أو عام 2022. ففي عام 2014، أسست أوكرانيا كتائب للمتطوعين، تحكمها حركة من أسفل إلى أعلى، بمعنى أنها بدأت من تعبير بعض المدنيين عن رغبتهم في القتال وقدرتهم على المساهمة في الحرب، دون أن تملك الدولة القدرة على استيعابهم في صفوفها، لذا شكّلت كتائب متطوعين. ولم يشهد عام 2014 انضمام الكثيرين من المقاتلين الأجانب إلى هذه الكتائب، بسبب تصوير روسيا للحرب على أنها أهلية. على عكس الحرب الحالية التي شهدت نسبة عالية من المقاتلين المتطوعين والأجانب في الصف الأوكراني، بعد دعوة الرئيس الأوكراني فلاديمير زيلنسكي المتطوعين الأجانب إلى القتال دفاعًا عن أوكرانيا، في 27 شباط/ فبراير 2022. أما على الجانب الروسي، فجرى تحشيد ما تسميه المتطوعين/ المقاتلين الأجانب من قوائم لجان الجيش الروسي، التي تضم معلومات عن كل الأشخاص الذين خضعوا لتدريبات عسكرية أو شاركوا في حروب سابقة، إذ يجري دعوة هؤلاء إلى المشاركة في الحرب على أنهم متطوعون، حتى تنفي علاقاتها بالصراع في أوكرانيا، ويكون منوطًا بهؤلاء استقطاب مقاتلين آخرين، إضافةً إلى متطوعين متطرفين يأتون من فرنسا وإيطاليا وألمانيا للقتال على الجبهة الروسية. كما أن روسيا تملك مجموعة فاغنر التي تضم العديد من المقاتلين الأجانب، بنسبة كبيرة من مولدوفا وبيلاروسيا وصربيا.

وشدد ريكافيك على أن الفرق في مسألة المقاتلين الأجانب، بين حرب 2014 والحرب الحالية 2022، يتمثل في أن الحرب الأخيرة تقليدية إلى حدٍ بعيد، لكن ثمة اهتمام من الجانبين بدعوة المتطوعين للقتال، مما خلق تنافسًا في هذا المجال لكسب المشروعية دوليًا، فإثر دعوات الرئيس الأوكراني فلاديمير زيلنسكي المتطوعين الأجانب للقدوم من كافة أنحاء العالم للدفاع عن أوكرانيا، عملت روسيا في المقابل، وفي خضم محاولات عزلها غربيًا، على إظهار أن لها حلفاء مستعدين للدفاع عنها أيضًا. وعلى الجانب الأوكراني، يؤدي المقاتلون الأجانب دورًا أساسيًا، إذ أحدثوا فارقًا بالفعل في الكثير من الاشتباكات، وقد أعلن مستشار الرئيس زيلنسكي أن هناك ألف متطوع قاتل في صف الجانب الأوكراني خلال الحرب الحالية. لكن تجدر الإشارة إلى أنه في حال لم يكن هناك متطوعون ذوو خبرة عسكرية مسبقة قادرون على نقل خبرتهم إلى الجنود الأوكرانيين وباقي المتطوعين، لم يجرِ الاستثمار فيهم أوكرانيًا وتوظيفهم في الأعمال الروتينية، فإن وجودهم لن يُحدث أثرًا كبيرًا.

8 صدر للباحث مؤخرًا كتاب شامل حول الموضوع، يبحث، استنادًا إلى عمل ميداني، في الخلفيات الأيديولوجية والاجتماعية للمقاتلين، ودوافعهم للانضمام إلى الصراع، ومشاكلهم في الطريق إلى هناك، وسجلّهم القتالي في أوكرانيا. ينظر:
Kacper Rękawek, *Foreign Fighters in Ukraine: The Brown–Red Cocktail* (London: Routledge, 2022).

وفي الإجابة عن سؤال مصير المقاتلين الأجانب في الصف الروسي بعد انتهاء الحرب، أجاب الباحث أن هؤلاء المقاتلين الأجانب يتسببون في عدم الاستقرار السياسي في البلدان التي يستقرون فيها، مثلما تسبب بعض المقاتلين الفرنسيين، الذين قاتلوا مع الجانب الروسي عام 2014، في إحداث أعمال شغب خلال تظاهرات حركة السترات الصفراء في باريس (أيار/ مايو 2018)، كما حاول بعض الصرب الذين قاتلوا مع الانفصاليين في الدونباس، إحداث انقلاب في مونتينغرو إلا أنهم فشلوا، إضافةً إلى أن الكثير من المقاتلين السابقين في دونيتسك عام 2014، يظهرون على شاشات التلفزيون بوصفهم خبراء في الحرب الروسية - الأوكرانية، ويقدمون وجهات نظر منحازة إلى روسيا، مثلما شهدنا في إيطاليا.

## ثالثًا: حرب روسيا غير التقليدية في أوكرانيا وسورية

افتتح هاميش دي برتون-غوردون المداخلة الثالثة بالقول إن نمط الحرب الروسية التقليدية على أوكرانيا بدأ في التراجع بسبب التداعي التكنولوجي والعسكري والعقيدة القتالية الروسية التي تعود إلى القرن العشرين، وتفتقر إلى مقومات النجاح في القرن الحادي والعشرين، لهذا بدأ التركيز الروسي على ما يسمّى بالحرب غير التقليدية، وهي تعني جعل السكان المدنيين في جوهر الحرب وصميمها، إضافةً إلى استخدام الأسلحة الكيميائية والبيولوجية والإشعاعية والنووية، لهذا يكون أثرها في المدنيين أكبر، بهدف جعلهم يستسلمون حتى يحذو العسكريون حذوهم، وهو ما تفعله روسيا في أوكرانيا. فإذا لم تتوافر الضوابط الأخلاقية وفي حالة عدم الالتزام باتفاقيات جنيف، فإنّ الحرب غير التقليدية تُستخدم من أجل البقاء في السلطة، مثلما فعل بشار الأسد في سورية وبقي على رأس النظام بعد استخدام السلاح الكيماوي (غير التقليدي) حتى الآن، مخترقًا الخط الأحمر الذي شدد عليه الرئيس الأميركي باراك أوباما بشأن استخدام الأسلحة الكيميائية، والذي اختفت آثاره يوم 21 أغسطس/ آب 2013، عندما شنّ الأسد هجومًا كيميائيًا هائلًا بغاز السارين في الغوطة بدمشق، مما أسفر عن مقتل أكثر من 1500 مدني، وغير ذلك من الهجمات الكيميائية في حلب ودوما[9]، دون أن يحرك المجتمع الدولي ساكنًا. الأمر الذي شجّع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين على تكرار التجربة السورية في أوكرانيا.

ويفسّر برتون-غوردون استهداف روسيا للأهداف المدنية في أوكرانيا، من مستشفيات ومدارس، على أنه تكرار للتجربة في سورية، إذ إن مهاجمة الأهداف المدنية تدفع المدنيين إلى الاستسلام، ويأتي في ذلك استهداف المصانع الكيميائية، فمعظم المدنيين لا يملكون وسائل الوقاية على عكس الجنود، مما يجعل التأثير فيهم أكبر. ومن جهةٍ أخرى، يستبعد الباحث ادعاءات روسية مفادها أن القوات الأوكرانية سممت الجنود الروس باستخدام مادة البوتولينوم، ويرجّح بدلًا من ذلك أن تكون هذه المادة قد تسربت إلى الجنود من حصص غذائية معلبة قديمًا.

بالانتقال إلى الحديث عن محطة زابوروجيا، الأكبر من نوعها في أوروبا والتي تملك ستّة مفاعلات نووية، أشار برتون-غوردون إلى أنها فقدت في آب/ أغسطس المصدر الذي يزوّدها بالقوة الكهربائية، ما يعني أن وسائل الأمان وأجهزة التبريد تحولت إلى مصادر الطاقة الاحتياطية، وانخفاض درجة الأمان في مفاعل نووي يشي بطبيعة الحال، بإمكانية وقوع كارثة نووية. مع صعوبة إمكانية رصد حالة المحطة ومدى توافر الصيانة فيها، بسبب السيطرة الروسية عليها منذ ستة أشهر، مما يثير القلق حولها. وتشير بعض التقارير إلى أن الوكالة الدولية للطاقة الذرية سوف ترسل مفتشين إلى محطة زابوروجيا للتأكد من الحقائق، وهو أمر ضروري، خاصةً أن ثمة تقارير تشير إلى وجود متفجرات بالقرب من المفاعلات.

أخيرًا، يستبعد برتون-غوردون تطوّر الأحداث إلى حرب نووية، لكون بوتين متأكدًا من أن المجتمع الدولي لن يبادر إلى الضربة الأولى، وبناءً عليه، يلوّح بالسلاح النووي في أوكرانيا لسببين. أولًا، لإبقاء قوات حلف شمال الأطلسي (الناتو) والقوات الغربية خارج أوكرانيا، خاصةً بامتلاكها أسلحة متطورة أكثر من تلك التي تمتلكها روسيا والتي بدأت في النفاد، ولتزداد قدرته على التفاوض عندما يرغب في ذلك. ثانيًا، لإخافة المدنيين وتأجيجهم للضغط على حكومتهم. الأمر الذي يبدو أنه لن ينجح، لأنّ الشعب الأوكراني حارب إلى جانب جيشه الوطني ضدّ غزو بلادهم، ويحظى بدعمٍ عالمي. ويؤكد الباحث أنّ التلويح الروسي بالسلاح النووي والذهاب إلى وسائل الحرب غير التقليدية، يدل على فشل الحرب التقليدية، إذ لم تنجح العملية العسكرية في السيطرة على كييف في فترة قصيرة كما كان يتوقع عدد من المراقبين، ولم يتوقّع الجنرالات الروس أن تطول الحرب إلى هذا الحد.

9 عمل برتون-غوردون مستشارًا في المنطقة العربية، وقدم المشورة لعدد من الجمعيات الخيرية الطبية السورية، منها منظمة الخوذ البيضاء، ومديرية الصحة في إدلب السورية، بشأن علاج ضحايا الهجمات بالأسلحة الكيميائية، وكذلك في مجال جمع الأدلة. ينظر مذكراته: Hamish de Bretton-Gordon, *Chemical Warrior: Syria, Salisbury and Saving Lives at War* (London: Headline Book Publishing, 2020).

# المراجع

## العربية

"الأزمة الأوكرانية: احتمالات المواجهة والحل". **تقدير موقف**. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2021/12/16. في: https://bit.ly/3vcMxKp

"أزمة أوكرانيا: كيف ينظر إليها العرب، ولماذا تباينت مواقفهم منها؟". **تقارير**. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2022/3/17. في: https://bit.ly/3Wq0gJx

"الاستراتيجية الأميركية في أوكرانيا وتداعياتها المحتملة على العلاقة مع روسيا". **تقدير موقف**. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2022/5/17. في: https://bit.ly/3GeWqNP

بشارة، عزمي. "روسيا وأوكرانيا وحلف الناتو: تأملات في الإصرار العجيب على عدم تجنّب المسار المؤدي إلى الحرب". **دراسات**. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2022/2/27. في: https://bit.ly/3veGIfc

البصري، عائشة. "استجابة الأمم المتحدة للغزو الروسي لأوكرانيا: فشل دبلوماسي وإنجازات إنسانية". **تقييم حالة**. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2022/8/25. في: https://bit.ly/3WKNJQI

الحاج سالم، باسل. "هل تستطيع تركيا موازنة العلاقات بين روسيا والغرب في أزمة أوكرانيا؟". **تقييم حالة**. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2022/2/7. في: https://bit.ly/3GjJ4zU

"حسابات واشنطن في أوكرانيا ومحاولات احتواء روسيا". **تقدير موقف**. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2022/3/3. في: https://bit.ly/3C3x3w6

حسين، أحمد قاسم. "استجابة الاتحاد الأوروبي لأزمة الطاقة الناجمة عن الحرب الأوكرانية". **تحليل سياسات**. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2022/6/16. في: https://bit.ly/3YSbHvw

دانييري، بول. **أوكرانيا وروسيا: من طلاق متحضر إلى حرب همجية**. ترجمة يزن الحاج. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022.

علي، عبد القادر محمد. "خلفيات رفض إرتيريا إدانة الغزو الروسي لأوكرانيا". **تقييم حالة**. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2022/3/30. في: https://bit.ly/3FS7dMI

قدورة، عماد. "تركيا وإشكالية الحياد في حرب أوكرانيا". **دراسات**. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2022/6/12. في: https://bit.ly/3hRBfIk

معكرون، جو. "تداعيات الغزو الروسي لأوكرانيا على الشرق الأوسط". **تقييم حالة**. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2022/3/9. في: https://bit.ly/3hNa6q7

ياسين، مالك. "كيف تؤثر حرب أوكرانيا في الأزمة السورية؟". **تقييم حالة**. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2022/6/2. في: https://bit.ly/3I6LrYl

## الأجنبية

De Bretton-Gordon, Hamish. *Chemical Warrior: Syria, Salisbury and Saving Lives at War*. London: Headline Book Publishing, 2020.

DeBenedictis, Kent. *Russian "Hybrid Warfare" and the Annexation of Crimea: The Modern Application of Soviet Political Warfare*. London: I.B. Tauris, 2021.

Glantz, David M. *Soviet Military Deception in the Second World War*. London: Routledge, 1989.

Rękawek, Kacper. *Foreign Fighters in Ukraine: The Brown–Red Cocktail*. London: Routledge, 2022.